ببليوغرافيا المراهقة في المنطقة العربية

غياب دراسات شاملة لأكثر من بلد

يستمد كل عمل بحثي جديد أهميته من باقي البحوث والدراسات السابقة التي أنجزت في نفس المجال وتناولت نفس الموضوع من قريب أو بعيد وذلك وطنيا وإقليميا. وهكذا تعتبر الدراسة البيبليوغرافية على غاية من الأهمية كمرحلة أولى وأساسية بالنسبة إلى كل بحث.

وتتمثل هذه المرحلة في قيام الباحث أو الباحثين المعنيين بعملية مسح وثائقي لكل العناوين ذات العلاقة، المتوفرة في المكتبات ومراكز البحوث المعنية، والإطلاع على محتواها ومعالجة معطياتها.

كما يعتبر البحث البيبليوغرافي منهجا أساسيا يسهّل تحديد محاور الموضوع الرئيسية وزاوية الطرح ويفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين للبناء على ما سبق من دراسات وتدعيمها، لتطعيم بحوثهم، وللتطرق إلى ما لم يتم التطرق إليه.

وككل دراسة، لا ينطلق مشروع "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والأفاق"، موضوع تقرير "كوثر" الثاني لتنمية المرأة العربية من فراغ، بل يجد موقعا له ضمن نسيج بيبليوغرافي ضخم يشمل الكتب والبحوث والأطروحات الجامعية والدراسات والمقالات الصحفية وغيرها من المطبوعات المنشورة وغير المنشورة التي درست موضوع المراهقة .

ونظرا لندرة المراجع التي اهتمت بفئة المراهقين تحديدا، تم توسيع البحث البيبليوغرافي ليشمل كل المراجع التي تتعلق مواضيعها بشريحة الشباب عموما. وعملت الفرق الوطنية، لفترة هامة من الزمن، في كل البلدان التي أجريت بها دراسة الفتاة العربية المراهقة، بحرص من مركز "كوثر" على تضمين كل التقارير بحثا بيبليوغرافيا عمل على تجميع مختلف المراجع باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية وتحديد موضوعاتها ومحاور اهتمامها وزوايا طرحها للموضوع...

وسنحاول في هذا الصدد تسليط الضوء على البحوث البيبليوغرافية المنجزة حول المراهقة في كل من تونس ولبنان واليمن.

المراهقة في تونس : مسألة تستلزم المواجهة

تحتوي بيبليوغرافيا المراهقة في تونس قرابة 300 مرجعا باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، أكثر من مائة مرجع منها باللغة العربية، وحوالي مائتي مرجع باللغة الفرنسية والإنجليزية، وتشمل الكتب والأطروحات والرسائل الجامعية والدراسات والمقالات الصحفية... تم تجميعها من بعض مراكز البحوث ذات العلاقة وبعض المعاهد العليا في تونس.

ولعل أهم ما يمكن ملاحظته من خلال البيبليوغرافيا المتاحة، أنه لا يوجد من الكتب والدراسات ما يتعامل مع المراهقة، هذه المرحلة العمرية، على أنها مرحلة هامة من تشكل الذات والعمل والتكوين. فهي تتعرض للمراهقة إما ضمن الدراسات المسماة بالدراسات الشبابية ولا تفرد لها حيزا خاصا، وإما أنها تتعرض لها كمشكلة أو قضية تستلزم المواجهة. ويتم بشكل أكبر دراسة المراهقة كإشكالية في علم النفس المرضي.

ويظهر الإبن (أو الإبنة) من خلال البحوث والدراسات المتوفرة إما طفلا أو راشدا، ولا توجد مرحلة وسطى بين هذا وذاك. كما تركز هذه الدراسات على عينات شبابية يتأكد من خلالها أن فترة المراهقة غالبا ما تدرس بشكل عابر وعرضي. وتتعلق أهم المحاور التي يتم تناولها بالرؤى عن المستقبل والشريك المقبل وكيف يرى المراهقون أنفسهم، وغالبا الذكور دون الإناث، ونادرا ما يتم التعرض لمسألة الفروق بين الجنسين أو للصداقة أو للعلاقة مع الآخر...

المراهقة في لبنان : فترة أزمة الهوية

لا تختلف زوايا طرح موضوع المراهقة والمراهقين من خلال بيبليوغرافيا لبنان كثيرا، عن زوايا طرح بيليوغرافيا المراهقة في تونس. وتتضمن البيبليوغرافيا المرافقة للتقرير اللبناني 67 مرجعا، منها 48 مرجعا باللغة العربية، و26 كتابا، و5 دراسات، و8 رسائل جامعية، و9 مقالات منشورة في الصحف اللبنانية، و19 مرجعا باللغة الفرنسية والإنجليزية.

وتناولت هذه المراجع جوانب مختلفة من حياة المراهقين. وتتسم المواضيع المدروسة عموما، بالطابع النفسي-الاجتماعي لمشاكل الشباب والمراهقين. ومن أبرز المحاور التي تم التطرق إليها أزمة الهوية الذاتية، والعلاقات بين الشباب والأولياء، وأسباب أزمة المراهقين العاطفية، والمسألة الجنسية واضطراباتها، والتغيرات النفسية والوجدانية التي تطرأ على المراهق.

وتناولت بعض المراجع التي صدرت بعد الحرب الأهلية اللبنانية، مواضيع تتعلق بالنتائج السلبية التي يمكن أن تخلفها الحرب على شخصية الأطفال والتي قد تنعكس على حياتهمْ المقبلة وخاصة عندما يصبحون مراهقين. ومن أبرز الظواهر التي تمت دراستها في هذا الشأن "التشرّد والانحراف".

والملاحظ أن معظم البحوث الصادرة في لبنان والمتعلقة بموضوع المراهقة لم تدرس هذا الموضوع بصورة شاملة ومعمقة، بل اقتصرت على دراسة مشاكل المراهقين ولم تتعرض إلى اهتماماتهم، ومشاغلهم، وتطلعاتهم. كما أن موضوع المراهقة لم يتم تناوله في بحوث خاصة بل تمّ التطرق إليه في إطار دراسات أشمل طالت قضايا الشباب بصفة عامة. ولا يوجد في هذه البحوث صورة جلية للمراهقة اللبنانية، عدا التعرض لسلوكيات بعض الفتيات اللاتي برزت لديهن أولويات جديدة منها البحث عن تحقيق الذات والاستقلالية وعدم الخوف من البقاء دون زواج.

المراهقة في اليمن : إشكاليات اجتماعية واقتصادية بالجملة

تحتوي البيبليوغرافيا المرافقة للتقرير اليمني حول "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق"، مجموعة من الكتب والدراسات والمقالات باللغة العربية، يبلغ عددها 27 مرجعا، تتوزع كما يلي : 11 دراسة، و3 كتب، وبحث دبلوم عالي، ورسالة ماجستير، و11 مقالا، اثنان فقط منها منشوران. وتناولت هذه المراجع جوانب مختلفة من حياة الشباب أو الأطفال، ونادرا ما تعرضت إلى دراسة مرحلة المراهقة.

وتعتبر المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها الشباب والأطفال في اليمن، من أهم المواضيع المطروحة مثل ظاهرة "التسول" لدى هذه الفئات، وظاهرة "تشغيل الأطفال"، وأسباب "العنف" لدى المراهقين، والتنشئة الأسرية للإناث والذكور، ومشكلات الشباب خاصة في مجالات التعليم والثقافة والرياضة. كما تناولت بعض الدراسات الجانب التشريعي والجانب الصحي للأطفال والشباب في اليمن. ولا تظهر صورة الفتاة اليمنية من خلال البيبليوغرافيا المتوفرة، إلا نادرا عند التعرض إلى ظاهرة "ختان البنات" ومشاكل تعليم الفتيات.

والنقطة الأخرى البارزة في البيبليوغرافيا اليمنية أن معظم المراجع قد بنيت على تصور تقليدي قائم على الجانب النفسي المرتبط بالتوجه المرضي وليس على عملية تشكل الهوية الذاتية أثناء فترة المراهقة.

ولعل أهم ما نلمسه من خلال هذه القراءة السريعة لبعض البحوث البيبليوغرافية حول المراهقة في المنطقة العربية، عدم اتفاق الباحثين على مفهوم واحد للمراهقة أو على حدود عمرية واضحة تحدد فترة المراهقة. كما أن موضوع المراهقة والمراهقين لم يتم تناوله في بحوث خاصة، بل تمّ التطرق إليه في إطار دراسات أشمل تطال قضايا الشباب عموما.

والأهم من ذلك كله، أنه لا توجد أية دراسة شملت مجموعة من البلدان العربية كفئة لوحدها، بل إن الدراسات المذكورة لم تتجاوز حدود القطرية، وفي الغالب تكاد لا تتجاوز حدود المدينة أو القرية. ومن هنا تستمد الدراسة الميدانية المضمنة في تقرير تنمية المرأة العربية الثاني "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق"، أهميتها باعتبارها دراسة تأسيسية، شاملة ومعمقة، تهتم بمرحلة المراهقة كمرحلة تحول هامة في حياة الفتى والفتاة على حد السواء، وتشمل مجموعة من البلدان العربية.

س.غ

رصيد معرفي عن المراهقة

في إطار جهوده البحثية التي يسعى عبرها إلى نشر سلسلة تقاريره حول تنمية المرأة العربية، وسعيا إلى أن يكون مؤسسة مرجعية حول قضايا النوع الاجتماعي في المنطقة، عمل مركز "كوثر" على جمع بيانات بيبليوغرافية لما نشر من كتب ودراسات وبحوث وتقارير حول المراهقة والمراهقين، موضوع تقريره الثاني لتنمية المرأة العربية، وضمنها في إصدار يحمل عنوان "بيبليوغرافيا أولية حول المراهقة في تونس".

ويحتوي هذا الإصدار على 250 عنوانا تقريبا، من كتب ورسائل وأطروحات جامعية، باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، بعضها صادر في تونس وبعضها الآخر صادر في دول عربية وأجنبية.

وتعتبر هذه البيبليوغرافيا رصيدا معرفيا هاما يتضمن كما هائلا من الكتب والمراجع التي اهتمت بموضوع المراهقة من سنة 1957 إلى سنة 2000، وتعمل وحدة التوثيق وتكنولوجيا المعلومات بمركز "كوثر" على تدعيمها باستمرار بالعناوين الصادرة في هذا الشأن، كما تحوي مكتبة "كوثر" حوالي 50 مرجعا عن المراهقة بصفة عامة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، إلى جانب ما نوفر للمركز من مراجع في إطار إنجاز تقريره الثاني لتنمية المرأة العربية حول الموضوع.

من رسوم المراهقين المشاركين في مسابقة "كوثر"